

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/15

تاریخ الاستلام: 2025/02/16



الرواية الجزائرية بين الحقيقة التاريخية والتمثيل الروائي

✍ شويرف مصطفى²
 mascara.dz-chouiref.mostapha@univ
 جامعة مصطفى اسمبوي - معسكر - / الجزائر

✍ دليلة قربوص¹
Dalila.guerbous@univ-mascara.dz
جامعة مصطفى اسمبولى -معسكر- / الجزائر

The Algerian novel between historical truth and fictional fiction

✉ DALILA GUERBOUS
Dalila.guerbous@univ-mascara.dz
Université de Mustapha Stambouli
Mascara -Algeria-

✉CHOUIREF MOSTEFA
mascara.dz-chouiref.mostapha@univ
Université de Mustapha Stambouli
Mascara -Algeria-

¹ المؤلف المرسل: دليلة قريوص

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الرواية والتاريخ، من خلال تسليط الضوء على مجموعة من الروايات الجزائرية التي اعتمدت في بنائها على المرجعية التاريخية، خاصة وأن نشأة الرواية الجزائرية كانت تلبية للظروف الاجتماعية والتاريخية التي مرت بها الجزائر. اعتمدنا في ذلك على تحليل بعض الروايات الجزائرية، رغبة منا إلى تبين الطرق والآليات التي تم من خلالها الاشتغال على التاريخ والكشف عن أشكال التعالق بين ما هو متخيل (الرواية) وما هو واقعي (التاريخ).

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج البحثية، أهمها انفتاح الرواية الجزائرية على فضاء التجريب الذي تحول إلى هاجس لدى الروائيين الجزائريين، من خلال الاشتغال على أشكال السرد الجديدة، منها توظيف التاريخ وفقا لآليات مغايرة، وهو ما بدا جليا من خلال النصوص الروائية الجزائرية كرواية اللّاز، رواية الزلزال، رواية الأمير، الديوان الاسبرطي.... الخ

الكلمات المفتاحية: الرواية - التاريخ - التخييل التاريخي-السرد-الخطاب.

ABSTRACT:

This study aims to explore the relationship between the novel and history by shedding light on a group of Algerian novels that rely on historical references in their structure, particularly since the emergence of the Algerian novel which was a response to the social and historical circumstances that Algeria went through. Therefore, our analysis was based on some of Algerian novels with the intention of identifying the methods and mechanisms through which history was integrated and to uncover the connections between the imaginary (the novel) and the real (history).

The study reached several research findings, the most important of these findings is the openness of Algerian novel to experimental spaces, which has become a major concern for Algerian novelists, through working with new narrative forms, including employing history according to different mechanisms. This is clearly evident in Algerian literary works such as "Elaz," "Elzilzal", Elamir", and "Ediwan Elisbarti" ect

Keywords: Novel, History, Historical, Imagination, Narrative, Discourse.

1. مقدمة:

تتميز الرواية عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى أنها تتمتع بخاصية الانفتاح على مختلف الألوان و الأجناس الأدبية و غير الأدبية، فهي قادرة على استيعاب كل ما يقدم إليها، كما يمكنها استدعاء كم هائل من النصوص و المعارف الإنسانية المختلفة و كذا مجالات أخرى من علم، فلسفة و تاريخ.... و هو الشيء الذي افتتن به الروائيون و الكتّاب، بحيث تسمح من خلال فضائها الواسع و صدرها الرحب التفاعل و التمازج باختصاصات أخرى، و بذلك كانت الرواية دائما تبحث عن أشكال جديدة رغبة منها في مواكبة تطورات العصر، و تماشيا مع الواقع و استجابة لكتابتها و قراءها على حد سواء، و من بين الارتباطات التي ارتبطت بها الرواية هو ارتباطها بالتاريخ.

يعتبر التاريخ من أهم المرجعيات و الروافد الأساسية التي أخذ منها الكتاب و استعانوا بها في إنتاج عدد من رواياتهم، تلك الروايات التي تستلهم الماضي و تستدعيه لأغراض متعددة، و الحديث عن علاقة الرواية بالتاريخ هو حديث عن تعلق و تعالق بالماضي و بالتراث الحضاري للأمم، خاصة و أن التاريخ هو أمر يتعلق بهوية الأمة و أصلاتها و مدى استمراريتها في الحياة.

ومن هنا يمكن أن يتبادر إلينا عدة تساؤلات من بينها : كيف أمكن للروائي الجزائري أن يحول الحقائق التاريخية والمنحى التاريخي إلى معرفة سردية خاصة حينما نتحدث عن الرواية بوصفها فنا سرديا جماليا يشتغل على التخيل، و التاريخ بوصفه خطابا علميا نفعيا هدفه كشف الحقائق، و هو ما شكل مفارقة بينهما، و للإجابة على هذه التساؤلات عمدنا إلى تحليل بعض الأعمال الروائية الجزائرية التي وظفت التاريخ، و استنطاق التاريخي منها و طرق توظيفها، و حتى نتمكن من فهم العلاقة التي جمعت بين " التاريخ " و " الرواية " لا بد لنا من فهم عميق لحقيقة " الرواية التاريخية ".

2. علاقة الرواية بالتاريخ :

إذا كانت الرواية تتناول الظواهر الاجتماعية، فهي بالضرورة ستتناول ظواهر تاريخية، إما من خلال الحدث أو الشخصيات، أو حتى الزمن، و من هنا نستطيع القول بإمكانية اعتبار الرواية مصدرا تاريخيا، فمن خلال الرواية يظهر لنا تجربة تجرى أحداثها داخل زمن و مكان معين، وهنا نلاحظ أهمية الزمن و حتى المكان بالنسبة للرواية، وهي نقاط تلتقي فيها الرواية بالتاريخ، حيث تتداخل و تتشابك بينهما الكثير من النقاط المكونة للسرد، كالإنسان (الشخصية)، الزمان، المكان و الطابع القصصي، فما من رواية إلا و تقوم على بنية سردية في مرحلة زمنية تاريخية، تشخص في فضاء مكاني و تمتد من الماضي إلى الحاضر لحظة الكتابة، و قد تتجاوزها إلى المستقبل، و كذلك التاريخ فهو سرد لأحداث وقعت في الماضي سواء كانت اجتماعية، سياسية، ثقافية أو حتى اقتصادية.

لقد ذهب العديد من النقاد والدارسين إلى أن الرواية هي كتابة التاريخ غير الرسمي أو التاريخ المنسي، إذ باستطاعتها التغلغل في تفاصيل ينساها ذلك التاريخ، الذي يشتغل بتدوين الأحداث الكبيرة والأسماء العظيمة، لكنه يغفل عن سرد وكتابة تداعيات ومخلفات تلك الأحداث على أفراد

المجتمع الذين يعيشون بعيدا عن قيادة الحدث، إذ لولا الرواية لما تعرفنا على الشخصيات المهمشة، خاصة وأن الشخصية تحتل مكانة هامة وأساسية في بناء الأحداث، وبهذا التمازج والتعلق دخلت الرواية العربية الحديثة مرحلة جديدة، استحدثت فيها تقنيات جمالية في كتابة النص السردى الروائي بطابع تاريخي.

إن استلها الرواية للتاريخ و جعله مصدرا و مرجعا لها يمكننا من معرفة عادات و تقاليد المجتمعات، حياة الناس و علاقاتهم، تفكيرهم و آرائهم، أمثالهم، آدابهم، طبائعهم و ألبستهم.. الخ، هذه كلها أمور لا توجد في الوثائق و المصادر التاريخية، و اشتغال الرواية على التاريخ لا يعني تقديمها لنص تاريخي ينحو منحى علميا و إنما تقدم تصويرا تخيليا يمس الواقع و يعبر عنه بطريقة فنية، تحاول أن تعيد التاريخ و توظفه من باب النقد و المساءلة، لا من باب التاريخ، إذ يأخذ الروائي من هـ ما يخدم فكرته و رؤيته، و يبني مساره السردى ليصل إلى حقيقة متخيلة في أغلب الأوقات بغرض توسيع الدلالة و بناء الحكاية السردية.

وعليه نقول أن الخطاب الروائي لا يمكنه أن يصبح خطابا تاريخيا، و إذا ما استحضرنا الرواية لأحداث تاريخية، لا يمكن أن تستحضرها إلا و هي ترتدي حلة جديدة يكتنفها نوع من الخيال، مطبوع على سرد جمالي " إذ يتقاطع الخطاب الروائي و الخطاب التاريخي عند نقاط أهمها الذاكرة الأجناسية والمظهر السردى، و إن كان يفتقران عند عملية الخطاب التاريخي، نقاط الالتقاء هذه هي التي يسرت اشتغال الرواية على التاريخ في مختلف المراحل التي مرت بها" (بشلم م، 2017، ص 137).

إن ما هو متفق عليه أنه و إن كانت هنالك فروق واضحة تفرق بينهما، إلا أننا نتفق أن هناك ما يجمعهما في كونهما مرجعا و مصدرا تاريخيا يعبر بطريقة أو بأخرى عن شعوب و مجتمعات، و إن بدا التاريخ متعال و صارم في توثيق الأحداث و تكريس اهتمامه بالشخصيات البارزة، من خلال سرده للأحداث، الزمان و المكان، فالرواية كانت ذات صدر رحب و متواضع ضمت و احتضنت الشعوب في سردها، و يبقى التاريخ بالنسبة لها ذلك المنبع الثري الذي اعتاد الروائي الأخذ منه، إذ يساعده في عرض أفكاره و تأملاته، و من أهم نقاط الالتلاف والاختلاف ما يلي :

✓ يتفان في السرد و يختلفان في الموضوع و الطريقة و الكيفية، فالتاريخ يستنطق الماضي، أما الرواية تسأل الحاضر من خلال الماضي.

- ✓ يستندان إلى الحقيقة بطرق مختلفة، التاريخ بطريقة علمية، أما الرواية عن طريق التخيل للوصول إلى الجمال حتى وإن كان أحيانا على حساب الحقيقة والأخلاق.
- ✓ يختلفان في الموضوعية، المؤرخ ينحو منحى العلمية، أي الحقيقة المطلقة بعيدا عن الأهواء والرغبات، عكس الرواية تمنح بشساعتها حرية الرأي والتعبير.
- ✓ لغة المؤرخ تتصف بالدقة والصرامة، عكس الروائي الذي يميل إلى الإغراء والإيحاء والجذب.
- ✓ يقدمان حقائق ومعلومات عن فترات زمنية معينة عن قضايا الشعوب.
- ✓ يخدمان البشرية وذلك من خلال استحضار الماضي لخدمة المستقبل.

3. الرواية التاريخية :

إن علاقة الأدب بالتاريخ هي علاقة قديمة، ذلك أن التاريخ يعتبر منبعاً غنياً يستقي منه الروائيون أعمالهم، ويأخذون منه منعطفات ومراحل هامة من حياة الشعوب، وهم بذلك يشكلون عوالمهم الروائية، وذلك وفق أساليب مبتكرة وخاصة، حيث تقدم لنا التاريخ في صورة خلابة يكتنفها نوع من الخلق والإبداع " وفي هذا الإطار نعتقد أن جميع الروايات التي تعود إلى رحاب التاريخ لإعادة كتابته بشكل مغاير، كملاعبة و سخرية أو تساءله أو تستلهمه، ومهما تكن الطريقة أو التقنية التي تتم بها العودة أو هذا الحوار، ومهما تكن المرحلة التاريخية التي يعود إليها الكاتب قريبة أو بعيدة، فإن الدافع إلى هذه العودة للماضي في كل أشكالها الواقعية أو غير الواقعية، نابع من احتياجات الحاضر، الهدف منه إعطاء صورة بديلة أو حياة أخرى مفقودة " (بوسلهام.ج، 2017، ص74)، تعايش التخييلي إلى جانب الواقعي بشكل متفاعل ومتداخل، يساهم في إنتاج دلالة جديدة تمر عبر رسالة تواصلية، ومن هذا التعايش والتفاعل والتداخل ينشأ ما يسمى بالرواية التاريخية أو التخييلي التاريخي كما يفضل البعض تسميتها.

نستشف مما سبق أن الرواية التاريخية هي كل رواية حملت في طياتها حدثاً تاريخياً، فكان موضوعاً للسرد، وفيها يكون الروائي أمام وظيفتين، وظيفة المؤرخ والتأريخ، وذلك من خلال رجوعه إلى الماضي وقراءته قراءة متأنية للوصول إلى الحقيقة، أما الوظيفة الثانية فهي وظيفة المبدع المهم، وذلك من خلال بعث التاريخ من جديد، بإخراجه في شكل مغاير بطريقة تخيلية، يحكمه الوعي القبلي للروائي والتمثل الواعي من قبل الروائيين لما يستلهمونه من التاريخ، ومن هنا تظهر لنا حقيقة الرواية التاريخية التي تجعل من التاريخ مادتها، فهي "تبنى حكايا عليه وتقتات وتشكل منه، وتضيف عليه وتختزل منه، وتتصرف فيه ولكنها ليست تاريخاً" (الشمالي.ن، 2008، ص95)، وهنا ننفي عنها صفة التوثيق والتدقيق ونعطيها صفة التخيلية.

ظهرت الرواية التاريخية عند الغرب، و كانت بدايتها مع (ولترسكوت) في روايته (ويفرلي) حيث اعتبره جورج لوكاتش أب الرواية التاريخية، عبر من خلالها عن المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، ثم توالى بعده بعض الروايات التي كتبت على منواله، أما على الصعيد العربي، فعبر الترجمة وصل إلينا ما يسمى بالرواية التاريخية التي لقيت صدى و قبولاً و ترحيباً من قبل الروائيين العرب الذين اشتغلوا عليها كل بطريقته الخاصة، إذ ظهرت في البداية في التراث الشعبي، كاستيعاب مباشر للعلاقات الإنسانية الجديدة، و هو ما نلمسه في بعض الروايات الجزائرية، كانت نتيجة لهدوء الأوضاع و المجتمع آنذاك، و بروز علاقات و بدايات لحياة جديدة، غير أن الرواية التاريخية و في ظل التحولات الجديدة و التغييرات الطارئة وجدت لها صدى في الكتابات الغربية أو العربية غيرت فيه مسارها و مصادرها، حيث كان التاريخ ملهمها.

تختلف التعريفات و التحديدات للرواية التاريخية من ناقد لآخر، منهم من يرى تسميتها بالتخييل التاريخي، و هو مصطلح دخل حقل السردية العربية و الدراسات النقدية على يد الباحث عبد الله ابراهيم في كتابه الجديد، التخييل التاريخي، السرد و الامبراطورية، و التجربة الاستعمارية، يعرف عبد الله ابراهيم مصطلح التخييل التاريخي بأنه " المادة التاريخية المتشكلة بواسطة السرد، و قد انقطعت عن وظيفتها التوثيقية و الوصفية، و أصبحت تؤدي وظيفة جمالية و رمزية، فالتخييل لا يحيل على حقائق الماضي، و لا يقررها و لا يروج لها، إنما يستوجبها بوصفها ركائز مفسرة لأحداثه، و هو من نتاج العلاقة المتفاعلة بين السرد المعزز بالخيال و التاريخ المدعم بالوقائع، و لكنه تركيب ثالث مختلف عنهما " (ابراهيم، ع، 2011، ص 05)، نلاحظ من هذا التعريف أن التخييل التاريخي هو تلك المادة التاريخية المشكلة بواسطة السرد بعد إلغاء خاصيته العلمية والتوثيقية، و إعطائها الجمالية من خلال بعض الآليات و التقنيات كخاصية الرمز، التلميح، التشابه، التناص... الخ، فالروائي يستدعي التاريخ و يسأله من خلال كتابته بطريقة تخيلية إبداعية، يمزج فيها الروائي بين ما هو واقعي (التاريخ) و بين ما هو متخيل (الرواية) من خلال حبكة سردية تميز كل روائي عن غيره، و ذلك بغية جذب اهتمام المتلقي.

4. حضور التاريخ في الرواية الجزائرية :

إن الحديث عن التاريخ و خاصة تاريخ الجزائر و علاقته بالخطاب الروائي، يجعل من الضروري الانفتاح على مختلف النصوص التي ارتبط ظهورها بالفترات التاريخية التي مرت بها الجزائر، خاصة حضور التاريخ في الرواية الجزائرية التي تكثف الاشتغال على التاريخ، إنما هو ذكريات الماضي الأليم ومشكلات الحاضر، كما أنها عكست لنا تفكير أصحابها، فقد كان هَمَّ الروائيين وقتها أن يأتي التاريخ شاهداً على حيثيات العصر و مفارقاته الواسعة " فقد وجد الروائي نفسه بين فكي كمامشة، صورة الماضي القريب و صدمات الواقع المتحول، فكان يلتفت إلى الماضي

ليستحضر حرب التحرير ، يسائلها أطورا، و يتلذذ بذكرها أطورا، و هو بذلك يحن إلى الماضي المجيد ويستأنس به " (مخلوف .ع ،دت، ص 116).

بعد التطور الذي شهده الخطاب الروائي الجزائري وبعد أن عصفت رياح الحداثة به، وبلغت به مستوى من الوعي الفكري و النضج الفني منذ ربح الجنوب لعبد الحميد ابن هدوقة، أصبحت الكتابة الروائية في الجزائر تعتمد على سلطة الواقع و التاريخ، اللبنة الأساسية لكل انطلاقة إبداعية.

و لأن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح على أشكال جديدة، من شأنها أن تواكب موجة الحداثة، فقد تضافرت الروايد الثقافية و الشعبية مع عناصر التراث الشعبي مع التاريخ، مما جعل أفق الكتابة الروائية في الجزائر تنفتح على فضاء التجريب، الذي تحول إلى هاجس لدى الروائيين في رحلة البحث عن أشكال السرد الجديدة.

وبالفعل فقد بدأت الرواية الجزائرية تتطور فنيا تطورا إيجابيا سنة 1972، أي بعد سنتين من ظهور ربح الجنوب و ذلك مع رواية اللّاز للظاهر وطار و هي تجمع ملامح من أشكال السلوك في واقع الثورة الجزائرية وواقع ما بعد الاستقلال، و ما أفرزه الوضع آنذاك من آفات مختلفة سياسية و ثقافية واجتماعية.

بعد التطور الهائل الذي شهدته الرواية الجزائرية في بدايتها، تميزت جلّ الكتابات إن لم نقل كلها بهيمنة الخطاب السياسي الإيديولوجي في المحاولات الإبداعية، كان التميز آنذاك إما باستحضار حرب التحرير "مما لا يخفى على قارئ يطالع الأدب الجزائري أن يلحظ فيه خاصية الثورة بوصفها هاجسا أساسيا يحرك عملية الكتابة، أو هي تتحرك فيه و الواقع أن هذه الظاهرة لا تدعو إلى الغرابة ما دامت الجزائر حديثة عهد بحرب التحرير، و مادام طابع عصرنا كله طابعا تحريرا" (مخلوف.ع، د ت، ص20)، أما الموضوع الثاني فكان يدور في فلك التحولات السريعة لوقت الراهن آنذاك، فقد كانت الكتابة وقتها تتكى مرة أخرى على الخطاب السياسي الاجتماعي لتكتب شرعيتها الأدبية، و بين هذا و ذاك، وجد الروائي الجزائري نفسه مسؤولا عن تجسيد هذه الأزمات و المراحل التاريخية الحرجة التي مرت بها الجزائر، سواء قبل الاستقلال أو بعده، لكن كل ذلك كان لا بد له من وعي تام و إدراك لكل ما حدث و يحدث، حتى تكون هناك نظرة شاملة و تَمثل واعي، و بالفعل فقد رافق الروائيون هاته المراحل و ترددت صورة الثورة بشكل لافت للنظر في الروايات الجزائرية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ربح الجنوب لعبد الحميد ابن هدوقة، رواية اللّاز للظاهر وطار، المؤامرة لمحمد مصايف ، البزة لمزاق بقطاش، معركة الزقاق، التفكك و الجنازة لرشيد بوجدر، زمن النمرود لـلحبيب السايح، صهيل الجسد لأمين الزاوي، سادة المصير لسفيان زرداقة، حارسة الظلال لوسيني الأعرج، متاهات ليل الفتنة لأحميدة العياشي....الخ.

و عليه و من خلال ما سبق نستنتج أن الرواية قد نالت من التاريخ و ذلك من خلال حضوره المكثف في مسيرة الرواية الجزائرية، حيث عكف جلّ الروائيين الجزائريين بتسجيل الأحداث و التاريخ " فصورة الحرب ظلت تلاحق كل الكتاب، سواء من باب الحنين فالاستحضار فالوصف، أو من باب الحنين فالنقمة فالنقد " (مخلوف، ع، دت، ص 13).

فقد كان الروائي الجزائري يتفنن في استحضار الثورة بأحداثها و شخصياتها، حتى أنهم لامسوا التاريخ و عبروا عنه منذ بداية الاحتلال من التاريخ العثماني و دخول فرنسا إلى الجزائر، مروراً بفترات ما بعد الاستقلال والأحداث المتتالية التي مرت بها الجزائر، فقد كان المجتمع الجزائري يتخبط في ظلمات و متاهات لم يألّفها، فبعد جهد وكد و تعب نال الاستقلال الذي لطالما سعى إليه ليجد نفسه أمام عقبة جديدة أنهكته و شلت كل حركاته و اتزانه، إذ لم يكن لها مثيل و هي العشرية السوداء المنعطف الـ حرج الذي جعله عاجزاً عن النهوض، فبين استعمار و استعمار كان لا بد للروائي أن يجسد كل ذلك بطرق مختلفة و هو ما سنحاول عرضه و التعرف عليه من خلال تحليل بعض النماذج الروائية التاريخية الجزائرية.

رواية اللاز لـ لطاهر وطار التي كتبها سنة 1972، جسدت فيها التاريخ بكل حيثياته و تفاصيله، حيث تتخذ الثورة التحريرية موضوعاً لها، يحاول الطاهر وطار من خلال روايته اللاز أن يدخل القارئ في جو من التخيّل، و كأنه يعيش اللحظة، فمن خلال الرواية يتجلى لنا الإحساس بالتاريخ حيث يشارك القارئ المتلقي قراءة الثورة من خلال إثارة التجربة الخالية فيه " إذ يتمتع الطاهر وطار بهاجس المغامرة الفنية، و التطوير المستمر لأدواته و القدرة على تنويع بنيته الروائية... تندرج أعماله في سياقتها المختلفة لتؤرخ كل التحولات و السيرورة الحاصلة في المجتمع الجزائري، منذ الثورة المسلحة إلى الاستقلال " (عيلان، ع، دت، ص 85).

رواية اللاز هي رواية كانت الثورة الجزائرية فضاء لها، تدور أحداثها في إحدى القرى الجزائرية التي يسكنها العديد من الثوار، و قد مست شخصيات متعددة، بدءاً بالشخصيات البارزة و محور الرواية شخصية اللاز و زيدان، فقد اختار " الطاهر وطار واحدة من أدق لحظات هذه الثورة و أخرجها، لحظة تفاقم الخلافات، و التناقضات في صفوف مكوناتها السياسية و العسكرية و بالأخص في صفوف جبهة التحرير الوطني، بينها و بين الحزب الشيوعي " (عقار، ع، 2000، ص 107)، انطلاقاً من هذه الفكرة تتجلى رؤية الطاهر وطار، خاصة و أن أعماله تؤرخ لكل التحولات التي شهدتها المجتمع الجزائري منذ بداية الثورة التحريرية الكبرى، و كأن الطاهر وطار في روايته اللاز عبر عن واقع جزائري مليء بالتناقضات الداخلية للسلوك البشري، من خلال التناقض الحاصل بين أعضاء الجبهة التي سارعت إلى قتله، و كأن الروائي يقدم كانتماز زيدان إلى الحزب الشيوعي وهو ما رفضه أعضاء الجبهة التي سارعت إلى قتله، و كأن الروائي يقدم محاكمة صريحة للتاريخ موظفاً ملكته الإبداعية.

حاول الطاهر وطار من خلال اللاز تجسيد صورة الصراع الخارجي بين القرية الجزائرية و الاحتلال الفرنسي، و كذلك صورة الصراع الداخلي بين صفوف جبهة التحرير الوطني لاختلاف انتمائهم العقائدي و الفكري " يعطينا وطار صورة واقعية عن بلده، عن تاريخه المعاصر، عن الثورة الواقعة فيه، مستخدما الشخصيات الخيالية كاللاز وزيدان، و حمو و قدور، الذين كانوا كلهم ممثلين لفرقة فكرية عقائدية مختلفة رأتها الجزائر في نفسها من خلال الثورة" (كبوري روشن وآخرون، 2014، ص30).

ظل الطاهر وطار يلاحق التاريخ متتبعا حركاته و سكناته، ليكشف لنا في رواية الزلزال 1974 جانبا من الأزمات و الصراعات التي شهدتها المجتمع الجزائري، نتيجة الإقطاعية بقوانينها التعسفية (الثورة الزراعية) عبر شخصية " عبد المجيد بولرواح"، شخصية سيئة متسلطة تنحدر من أسرة تتصف بالانحلال الخلقي، و من خلال النهب و النصب و الظلم استولى على عدة أراضي زراعية، ليأتي قانون الثورة الزراعية فتبددت أحلامه و تبخرت أملاكه مما جعله يعيش حالة الهلع و التأزم " إذ تأخذ رواية الزلزال سيرة بطل مضاد مشحون بتناقضات النفسية المريعة فرغم امتلاكه الأراضي و المال، فإن لحظات السعادة تبدو باهتة في حياته و هو الآن يدافع عن أنفاسه الأخيرة أمام المتغيرات الاجتماعية الطارئة التي هزت طبقته" (بوحسون، ح، 2008، ص 267).

و عليه فإن الـم تأمل في رواية الزلزال يرى أن الطاهر وطار حاول تصوير مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر كانت مليئة بالتناقضات التي كانت كفيلة بخلق صراع داخلي، و ذلك من خلال بنية شخصية بولرواح التي جمعت بين الشيء و نقيضه.

أما واسيني الأعرج فيعد من أبرز الروائيين الذين اشتغلوا على التاريخ وجعلوه سبيلا للتعبير الفني، و اختار التناس و سيلته للعبور، إذ " يمثل التناس إحدى الآليات الإبداعية التي ترمي إلى تحقيق الثراء للنص السردي، من خلال ربطه بجملة من المرجعيات غير المحددة، وليس الغاية من ذلك إعادة إنتاج تلك المرجعيات وإنما إتاحة تجددتها في سياقات مختلفة (قرطي، خ، 2015، ص01).

فقد حاول واسيني الأعرج من خلال روايته نوار اللوز (تغريبة صالح بن عامر الزوفري) معالجة عدة قضايا متجذرة عانت منها الشعوب العربية عامة والمجتمعات الجزائرية خاصة، تحمل هذه الرواية في طياتها معاناة الإنسان في الماضي والحاضر والمستقبل كالبؤس والحرمان، الفقر، الخيانة، القمع والتسلط.

وبالاعتماد على تقنية التناس والعودة بالذاكرة إلى الماضي، واستحضارا لسيرة بني هلال وإسقاطها على الحاضر من خلال شخصية صالح بن عامر الزوفري بطل الرواية، حاول الروائي تجسيد صورة القامع (السلطة) والمقموع (الرعية) و الشعب و طرق الفرار و الهروب من هذه الفئة المتسلطة عن طريق الزحف والترحال، وهنا تتشابه الأحداث وتتشابك، إذ تعد سيرة بني هلال وبطريقة غير مباشرة المرجع التاريخي الذي استقى منه الروائي روايته، فالمتمعن في هذه الرواية -نوار اللوز- يلاحظ تعالق

الرواية بالسيرة الهلالية من خلال عدة نقاط كتشابه الشخصيات (لونجا، الجازية) واستحضار أسماء الشخصيات كأبي زيد الهلالي في كذا موضع، وحتى تشابه الأحداث خاصة في الزحف، الارتحال، القمع، التسلط....الخ.

أما روايته الأمير (مسالك أبواب الحديد) فقد رسم من خلالها طريقه إلى التجريب، وذلك من خلال استدعاء التاريخ، من خلال استحضار شخصيات تاريخية، كشخصية الأمير عبد القادر وسيرته البطولية، كما وظف الزمن التاريخي للأحداث التي جسدت كفاح الأمير كحادثة مبايعة الأمير عبد القادر، حاول الروائي مزج المكون الروائي بالمكون التاريخي عن طريق اللغة، حيث " إن الأمير رواية معاصرة تمكنت من تجسيد أهم تقنيات الكتابة الحديثة، التي ساهمت على انبعاث الفضاء بأشكال دلالية عديدة، وأنها فضاء لتشكل الذاكرة الجماعية، وأنها سطوة اللغة نحو الفضاء المتخيل" (روباش.ج، 2014، ص 217)، وقد تميزت تجربته هذه عن غيره بتتبع شخصية الأمير بصورته الحقيقية في كذا موضع، كذكر معاركه التي خاضها ضد الاستعمار الفرنسي، ولكننا نجده في مواضع أخرى يغلب الخيال على الحقيقة، على حساب شخصية الأمير الملتزمة والمتصوفة، وهو ما أخفق فيه و أعابه عليه بعض النقاد.

أما أحلام مستغانمي فقد استطاعت أن تروض التاريخ وتجعله ينصاع لها، وذلك من خلال روايتها ذاكرة الجسد بإعادة تمثيل التاريخ والراهن بطريقة مبتكرة تخيلية. " إذ يحضر التاريخ باعتباره أحداثا وقعت في الماضي بشخصياتها و أزمنتها و أمكنتها، ولا تعيد الكتابة تجسيدها مجددا وإنما تعيد استحضارها عبر بطلها خالد الذي يعيش هو الآخر هذه الأحداث، لكن هذه الشخصية متخيلة وليست حقيقية، وهنا يتداخل التاريخي مع التخيلي، ليُشكل نصا سرديا يجمع بين الحقيقة والتخيل (شريط.س، 2024، ص 17). ولتحقيق ذلك أيضا، عمدت الروائية إلى ترميز الشخصيات وإعطاء صورة مماثلة عن الجزائر والمراحل التي مرت بها، خاصة حينما أعطت اسم حياة (أحلام) للشخصية التي كانت ترمز من خلالها إلى الجزائر التي كانت تحلم بحياة جديدة، وولادة جديدة بعد الاستقلال. حياة التي كان يحلم بها خالد بن طوبال زوجة له، لكنها تزوجت بغيره، وحتى قضية الزواج كانت رمزا للانتقال من مرحلة إلى أخرى ضمن التغيرات التي شهدتها الجزائر.

أما عبد الوهاب عيساوي فقد اختار هو كذلك أن ينسج روايته الديوان الإسبرطي من وحي التاريخ، إذ تدور أحداثها في الجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1815 م إلى 1833 م (فترة الدولة العثمانية)، بين خمس شخصيات مختلفة نفسيا، عقليا، عقائديا، فكريا، اجتماعيا وحتى سياسيا، شخصيتان فرنسيتين (ديبون) شخصية تدعو إلى الخير و التحرر، (كافيار) شخصية حاكمة تدعو إلى الشر والقتل. ثلاث شخصيات جزائرية: (ابن ميار) مسالم، (حمة السيلايوي) ثائر مغامر، ناشط يدعو إلى المقاومة، و(دوجة) العفيفة الطيبة.

تتناول هذه الرواية مرحلة من مراحل الحكم العثماني والفرنسي في الجزائر، حاول الروائي من خلالها استحضار التاريخ من خلال مجموعة من الإحياءات والتأويلات المتعددة التي تسعى إلى تبليغ قضية اجتماعية، تاريخية في الآن نفسه (مسعودي الأمين وآخرون ، 2023، ص).

5.الخاتمة:

إن العلاقة التي تقيمها الرواية مع التاريخ هي علاقة متشعبة متشابكة، فيها نوع من التعالق التمازج، التقاطع والتلاقي خاصة و أن التاريخ يحمل في طياته حقائق موثقة بالشواهد، خلاف الرواية التي تطمع إلى الحرية والجمال، و بين هذا و ذاك كان السرد هو السبيل والوسيط بينهما.

✓ لقد استطاعت الرواية إخضاع التاريخ لها وزعزعت علميته و يقينيته كما استطاعت تطويعه واستدراجه لمنعرج آخر يتسم بالنسبية، ومن هنا نشأت الرواية التاريخية أو التخيلي التاريخي كما يفضلها البعض.

✓ لقد اختلفت و تباينت طرق و آليات توظيف التاريخ و اشتغال الرواية عليه و محاولة تخييله و ذلك راجع إلى تغير الرؤى و الأفكار لكل روائي، فقد تميز كل روائي عن غيره في التعامل مع المادة التاريخية، بحسب طبيعة الموضوع الذي شد انتباهه و حرك كيانه و قريحته للكتابة، و قد كان الاشتغال على التاريخ من خلال البنية السردية إذ كان الروائي يستنطق التاريخ من خلال الشخصية ، أو الحدث ، الزمان ، المكان..الخ.

✓ بالرغم من تأخر ظهور الرواية الجزائرية لكنها شهدت تراكما كميا لافتا، تدور مجمل مضامينها حول الثورة الجزائرية أو التغيرات الجذرية التي حصلت بعد الاستقلال ، و قد ارتبط توظيف التاريخ في الرواية الجزائرية بالوعي، و قد أسهم هذا الارتباط في تمثيل الواقع من أجل تغييره.

✓ و من خلال تحليلنا لبعض النماذج الروائية الجزائرية وصلنا إلى نقطة مفادها أن الروائي الجزائري كان متعلقا بالذاكرة التاريخية، إذ كانت هاجسه في الكتابة، فمنهم من مارس التخيل و منهم من غلب الحقيقي على التخييل.

المراجع :

- (1) عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع -المدارس- الدار البيضاء (المغرب)، ط 01، 2000، ص 107.
- (2) نضال الشامي، الرواية والتاريخ، الرواية العربية بين الواقع والتخييل، دار فراي، بيروت، ط 01، 2008، ص 95.
- (3) منى بشلم، علاقة الرواية العربية بالتاريخ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، عدد 13، رقم 01، 2017، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، قسنطينة، ص 137.

- (4) كوبري روشن فكر، علي رضا كاوه نوشن آبادي، الجزائر والثورة في رواية اللاز، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 02، رقم 04، 2014، جامعة البليدة، الجزائر.
- (5) خليفة قرطي، حدود التناص وبنية الخطاب في رواية نوار اللوز للاعرج واسيني، مجلة الباحث، العدد 12، جامعة البليدة، 2015.
- (6) بوسلهام جمال، جماليات تمثل التاريخ وتأويله في رواية حارسة الظلال لواسيني الاعرج، مجلة قراءات، جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر، عدد 07، جوان، 2014.
- (7) شريط السنوسي، تسريد التاريخ في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، مجلة الخطاب، جامعة مصطفى اسطمبولي، مجلد 13، عدد 02، ص 17.
- (8) مسعوفي الأمين، قويدر قيطوني، جمالية توظيف الشخصية في رواية الديوان الاسبرطي لعبد الوهاب عيساوي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 15، العدد 02، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر.
- (9) جميلة روبا، الواقعي والتمثيل في رواية الأمير لواسيني الاعرج، قسم اللغة والأدب العربي، مجلة حوليات الآداب واللغات جامعة المسيلة، الجزائر، 2014، العدد 02، المجلد 01.
- (10) عبد الله إبراهيم، التخييل التاريخي، السرد، الإمبراطورية، التجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط01، 2010.
- (11) مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار الأدب للنشر والتوزيع، دط، دت.
- (12) مخلوف عامر، الرواية والتحويلات في الجزائر، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، دط، دت.
- (13) عمر عيلالي، الايديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دراسات سوسيوسيميائية، الفضاء الحر، دط، دت.
- (14) حسين حسون، الرؤية والموقف الايديولوجي في نص الزلزال لطاهر الوطار، مجلة متون، العدد 01، المجلد رقم 02، 2008، المركز الجامعي بشار.